

الحرف "لكن" بين اللغة العربية وبيان القرآن الكريم**"دراسة تفسيرية في أسرار بلاغة القرآن"****Crafts "but" between Arabic and the Koran, "the study of interpretive eloquence secrets in the Koran****دكتور / مجتبیٰ محمود الكنانی**

أستاذ التفسير والقراءات القرآنية المساعد - قسم أصول الدين

كلية الشريعة - جامعة نجران - المملكة العربية السعودية

المخلص:

يجلي البحث أهمية البلاغة العربية في حصول تصور جديد لمعنى الآيات، من خلال نظمها القرآني المبين عن أسرار المعاني الكامنة في أسرار المباني. ومن المباني المتينة في اللغة حروف المعاني، فسيأخذ البحث الحرف "لكن" بالدراسة من خلال النظم القرآني لتجلية أسرار البلاغة الكامنة في مبناه بمجيئه في السياق القرآني. فمنها: أن يأتي بعد النفي فيحمل معنى التهديد والوعيد، وأن يأتي بعد الإثبات فيحمل معنى الإغواء والإمهال، ومنها أن تأتي للعطف فيحمل معنى الاختصاص، أو القلب. ومن خلال السياق القرآني ونظم الآية سيجد القارئ روعة هذه المعاني، وأثر معنى هذا الحرف في توجيه معنى الآية والكشف عن أسرارها، ورؤيتها بمنظور أعمق في دلالاته على مراد الله عز وجل.

Abstract

Find Wigley importance of the Arab rhetoric in for a new vision of the meaning of the verses, through their Quranic described the secrets of meanings inherent in the mysteries of the buildings.

It is solid buildings in the language lettering meanings, Find the letter "but" through the study of Quranic systems to shed light on secrets rhetorical inherent in its building his coming in Quranic context, Mismatch: that comes after denials carries the meaning of threats and intimidation, And that comes after the prosecution carries the meaning of seduction and grace, The ones that come to the kindness carries the meaning of jurisdiction, or the heart.

Through the Quranic verse systems context and the reader will find splendor of these meanings, The meaning of this character and impact in guiding the meaning of the verse and the disclosure of secrets, And see it in a deeper perspective on the significance Murad God Almighty.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. وبعد فإن طالب علم التفسير معني بدراسة البلاغة العربية أكثر من غيره، لما لها من ارتباط وطيد بكتاب الله العزيز، كيف لا وقد تحدى القرآن أرباب البلاغة والفصاحة فكاعوا، فحري بمن يريد فهم الكتاب، أن يكون ذا باع في علم البلاغة الذي خص به ذوو الألباب، من علماء التفسير الأفاضل وعلى رأسهم الزمخشري¹ - الذي كان أبا لهذا الفن، فنسج التابعون له على منواله، ومما عنيت به البلاغة الحروف، أقصد حروف المعاني التي كان لها عناية بالغة عند علماء البلاغة واللغة، حتى أفردوها بالتصنيف. وهذه دراسة لواحد من هذه الحروف، نتجول من خلالها مع كتب اللغة الأمهات، ويتذوق الجمال البلاغي في معانيها من خلال السياق القرآني. سبب اختيار حرف الدراسة: سبب اختياري الحرف "لكن"، لأنه؛ اشتهر في معنى الاستدراك حتى ليظن أن ليس له معنى غيره، فأردت أن أجلي معاني الحرف الأخرى في اللغة ودراستها من خلال سياق القرآن الكريم. أهمية الدراسة: بيان اختلاف معاني الحروف في اللغة وأثره في تفسير القرآن، والمعنى البلاغي.

هدف الدراسة : التعرف على معاني الحرف "لكن" ودراستها من خلال السياق القرآني، وبيان الضوابط التي تحدد معناه المراد، من بين معانيه اللغوية المتعدده. منهج البحث: البحث قائم على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستنباطي. الدراسات السابقة: تحدث العلماء عن معاني الحروف في مؤلفات مستقلة فمن أبرز ذلك عند المتقدمين كتاب مغني اللبيب لأبن هشام الأنصاري - رحمه الله - ، وكتاب معاني الحروف للرماني - رحمه الله، ووصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، والجنى الداني في حروف المعاني للمراذي، وجاءت الدراسات الحديثة معتمدة على هذه الدراسات المتقدمة، بالإضافة الى كتب النحو الأخرى، وهناك دراسات عديدة في معاني الحروف رجعت إليها واستفدت منها في الصياغة والتقسيم من هذه الدراسات

¹ رغم المآخذ على اعتزالياته المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، والمؤدية إلى الضلال والعياذ بالله؛ غير أنه أبدع في علم البلاغة وهذا ما ذكره العلماء المحققون.

"دلالة حروف المعاني وأثرها في التفسير" و"حروف الجر في سورتی آل عمران والنساء".

وهناك رسالتان علميتان وقفت عليهما في معنى الحرف "لكن" تناولت هاتان الدرستان الحرف من الناحية اللغوية بشكل أكبر ففصلنا في الخلاف النحوي مع تطرقهما إلى شواهد من القرآن الكريم، ثم دراسة تطبيقية من القرآن الكريم.

- دراسة لفتحية عبيدة بعنوان "لكن في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية" جامعة الجزائر كلية الآداب واللغات، قامت الباحثة بدراسة تركيب هذا الحرف، وقسمت السياق الذي تأتي فيه "لكن" بحسب ما قبلها، ثم بينت معانيها ودلالاتها، وكونها تابعة لكلية الآداب، عنيت الدراسة بالجانب اللغوي، وابتدعت معنا لـ"لكن" وهو الحجاج، وهذا لم يذكره المتقدمون، وطبقت هذا المعنى على القرآن الكريم، وغيره من معاني "لكن"، وقد اعتمدت على القراءات الشاذة في ترجيح بعض المعاني، وقد استفدت من هذه الدراسة في الصياغة، والمادة، والمراجع، لكن دراستي عنيت بـ "لكن" في اللغة وفق معناها في القرآن الكريم فقط.

- دراسة لإنجا إبراهيم يحيى اليماني بعنوان "أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم" وهي في جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، فجاء الباب الثاني من الدراسة للاستدراك وأساليبه في اللغة ثم دراسته في القرآن الكريم، ودراستي اختصت بالجوانب البيانية في السياق الذي يجيء فيه هذا الحرف.

وجاءت خطة البحث كما يلي:

المبحث الأول: الحرف وأقسامه

المطلب الأول: الحرف في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أقسام حروف المعاني.

أولاً: من حيث الأفراد والتركيب.

ثانياً: الحروف العاملة وغير العاملة.

المبحث الثاني: الحرف "لكن" في اللغة.

المطلب الأول: أصل الحرف لكن و صوته.

المطلب الثاني: عمل لكن.

المطلب الثالث: أوجه الشبه بين لكن والفعل.

المطلب الرابع: لكن ولكن.

المطلب الخامس: معاني "لكن" عند النحاة ودلالاتها.

أولاً: الاستدراك.

ثانياً: التوكيد.

ثالثاً: العطف.

المبحث الثالث: الحرف " لكن " في القرآن الكريم ودلالته البيانية.

المطلب الأول: عدة ورود " لكن " في القرآن.

المطلب الثاني: معاني " لكن " في القرآن الكريم ودلالاتها البيانية.

المعنى الأول: الاستدراك ودلالته البيانية في القرآن.

الصورة الأولى للاستدراك: أن تأتي "لكن" بعد النفي فتحمل معنى التهديد الوعيد.

الصورة الثانية للاستدراك: أن تأتي لكن بعد الإثبات والتوكيد فتحمل معنى الإغواء والإمهال.

الصورة الثالثة للاستدراك: أن تأتي لكن بعد الشرط فتحمل معنى التوكيد والإثبات.

المعنى الثاني: الاستدراك والتوكيد والدلالة البيانية في القرآن.

الصورة الأولى: أن تأتي "لكن" بعد النفي فتحمل معنى التعليل.. أو التبرير والتخويف.

الصورة الثانية: أن تأتي "لكن" بعد الإثبات والتوكيد فتحمل معنى التنبية والإيقاظ.

الصورة الثالثة: أن تأتي لكن بعد الشرط فتحمل معنى التنبية والامتنان.

المعنى الثالث: العطف ودلالته البيانية في القرآن.

أولاً: أن تأتي لكن للعطف فتحمل معنى الاختصاص.

ثانياً: أن تأتي لكن للعطف فتحمل معنى القلب.

الخاتمة.

وختاماً الشكر لله عز وجل أن هياً لنا من يأخذ بأيدينا علماً نكون في مدارج السالكين.

هذا وما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمني وبذنبي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: الحرف وأقسامه

المطلب الأول: الحرف في اللغة والاصطلاح.

الحرف لغة: له معان متعددة، الحرف من حروف الهجاء، واحد حروف التهجى. وهو الأداة التي تسمى الرابطة، لأنها تربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل، كعن وعلی ونحوها. وعند ابن منصور (د.ت، ١٤ / ٩) والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء^١. وحرف السفينة والجبل جانباهما. والجمع: أحرف وحروف وحرفة. قال الخليل (الفراهيدي، د.ط، ٤٤ / ٣ / ٢): "الحرف من حروف الهجاء، وكل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفاً، وإن كان بناؤها بحرفين أو أكثر مثل حتى وهل وبل ولعل^٢."

الحرف في الاصطلاح: كلمة تدل على معنى في غيرها (المرادي، ١٩٧٥، ص ٢٠)^٣. فبكلمة: يخرج بها بعض الحروف التي تدل على معنى في الفعل أو الاسم كهمزتي النقل والوصل، وباء التصغير، التي يرى أنها ليست كلمات. وبلفظ: تخرج الأسماء التي تدل على معنيين، معنى في نفسه، ومعنى في غيره كأسماء الاستفهام، والشرط^٤ (المرادي، ١٩٧٥، ص ٢١).

قال سيبويه (د.ت، ١٢ / ١): "الحرف ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل"^٥. ولفظ حرف يطلق على الحروف التسعة والعشرين التي هي أصل تركيب الكلام، ويطلق على ما يوصل معاني الأفعال إلى الأسماء، وعلى ما يدل بنفسه على معنى في غيره (محمود سعد، ١٩٨٨، ص ١١)^٦. ويسمى الأول حروف المباني، والثاني: حروف المعاني.

^١ انظر ابن منصور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر - د.ت)، ط ١، مادة حرف، ج: ٩، ص: ١٤.

^٢ الفراهيدي أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي (الناشر: دار ومكتبة الهلال)، د.ط. . ج: ٢، ص: ٣٤٤.

^٣ المرادي بدر الدين حسن بن قاسم، (١٩٧٥م) الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق طه محسن، (بغداد: المكتبة الوطنية)، د.ط، ص: ٢٠.

^٤ المرادي الجنى الداني، ص: ٢١.

^٥ سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بيروت: عالم الكتاب دن)، د.ط، ج: ١، ص: ١٢.

^٦ انظر د. محمود سعد، (١٩٨٨م) حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه (مصر: منتدى سور الأبيكية)، ط ١، ص: ١١ وما بعدها.

ثم أطلق لفظ الحرف على حروف المعاني بطريق التغليب، لأن بعض هذه الحروف أسماء مثل: كل ومتى ومن وإذا، وغيرها، لكن لما كان أكثرها حروفاً سمي الجمع بهذا الاسم (البيزدي ١٩٩٧، ٢/١٠٩) ^١. وعرف بتعاريف أخرى لا تسلم من الاعتراض، وليست الغاية الاستقصاء.

والذي أختاره منها أكثرها دلالة على المعنى، مع قصر عبارته، أو كما يقول المناطقة الجامع المانع، هو " كلمة تدل على معنى في غيرها " وهو تعريف المرادي (١٩٧٥، ص ٢٠) ^٢.

المطلب الثاني أقسام حروف المعاني.

تقسم إلى قسمين: من حيث الإفراد والتركيب، ومن حيث الموقع عاملة وغير عاملة (الخلواني، د.ت، ص ١٥٣) ^٣.

أولاً: من حيث الإفراد والتركيب.

الحروف المفردة:	الحروف المركبة:
الألف، والهمزة، والباء، والتاء، والكاف، واللام، والميم، والنون، والفاء، والسين، والواو، والياء.	أجل، إذا، إذ، إذن، أل، ألا، لا، الي، إلا، أم، أما، إمّا، إمّا، إن، أن، إن، أن، أنّا، أنت، أنتم، أنتن، أو، أي، أيا، ايا، أصبح، أمسى، بجل، بل، بلى، ثم، جلل، جبر، حتى، حاشى، خلا، ذا، رب، كأن، كلا، كما، كي، لا، لكن، لكن، لم، لماً، لن، لون لوما، لولا، ليت، ليس، ما، مذ، من، منذ، مع، نحن، نعم، عدا، عل، على، عن، غنن في، قد، سوف، ها، هلن هلا،

^١ البيزدي عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام. المحقق: عبد الله محمود محمد عمر، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ط ١، ج ٢، ص: ١٠٩.

^٢ المرادي، الجني الداني، ص: ٢٠.

^٣ الحروف العاملة هي التي تختص بالأسماء فلا تباشر الأفعال، أو تختص بالأفعال فلا تباشر الأسماء، والحرف الذي لا اختصاص له بأحد القبيلين لا عمل له. انظر الخلواني، أصول النحو العربي، (الإنترنت.د.ن)، د.ط، ص: ١٥٣.

هيا، هو، هي، هما، هم، هن، وا، وي، يا ^١ .		
ثانيا: من حيث الموقع (الحروف العاملة وغير العاملة).		
الأول: قسم عامل لا غير.	من المفردات: حرف	من المركبات: اثنان وعشرون حرفاً وهي:
	وهو الباء.	إذا بشرط أن يكون معها ما، إلى، لم حاشي، خلا، رب، كأن، كي، لكن، لن، ليت، منذ، مذ، من، من، مع، عدا، على، عل، غن، في.
الثاني: غير عامل لا غير.	من المفردات ثمانية	من المركبات، سبعة وأربعون حرفاً وهي:
	الألف، والهمزة، والميم، والنون، والفاء، والسين، والهاء، والياء	أجل، إذا، أل، ألا، إلا، أم، أما، إمّا، أنا، أنت، أنتم، أنستن، أو، أي، إي، أيّا، بجل، بل، بلى، ثم، جلل، جبر، ذا، كلا، لكن، لو، لوما، لولا، نحن، نعم، قد، سوف، ها، هل، هلا، هيا، هو، هي، هما، هم، هن، وا، وي، يا. وإن كانت أنا، وانت، انتما، أنتم، انتن. تعد من الضمائر المنفصلة وليست حروفاً.
الثالث: يجوز أن يكون عاملاً وغير عامل.	من المفردات، أربعة	من المركبات اثنا عشر حرفاً هي:
	التاء، والكاف، واللام، والواو.	إن، إن، أن، أن، لن، حتى، كما، لما، لولا، ليس، ما، لا. ^٢

وسأتناول في دراستي هذه، إحدى حروف المعاني العاملة وهو الحرف " لكن " .

^١ انظر هذا البحث دلالات حروف المعاني: ص ١٦.

^٢ انظر الحلواني، أصول النحو العربي، (الإنترنت.د.ن)، د.ط، ص: ٢١٠.

المبحث الثاني: الحرف "لكن" في اللغة.

تبيين من العرض السابق أن "لكن" حرف مركب عامل باتفاق إذا كان مشدداً، وغير عامل إذا كانت نونه مخففة من الثقيلة وفي المسألة خلاف بين النحاة.^١
قال ابن هشام (١٩٨٥، ص ٥٤١): لكن مشددة النون حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر.^٢
المطلب الأول: أصل الحرف لكن و صوته.

أصل "لكن": اختلف البصريون والكوفيون في أصل الحرف لكن، فيرى البصريون أن لكنّ: مفردة وبسيطة (الجامي، د.ت، ص ١٦٨).^٣
وقال الجرجاني (د.ت، ١٦٨): أن أصلها "لا" "كين"، فنقلت كسرة الهزمة إلى الكاف بعد سلب حركة الكاف فحذفت الهزمة فصارت لكن، فكلمة (لا) تفيد أن ما بعدها ليس كما قبلها، بل هو مخالف له نفيًا وإثباتًا وكلمة (إن) تخفف مضمون ما بعدها ويرى الجرجاني (الجرجاني، د.ت، ص ١٦٨) أنها مركبة من لا وإن المكسورة المصدرة بالكاف الزائدة لا التشبيهية والهزمة حذفت تخفيفاً.^٤
أما ابن فارس (د.ت، ٦١٦) فيرى: أن لكن، كلمة استدرأك تتضمن ثلاثة معان: لا: وهي للنفي والكاف: مخاطبة، والنون: بمنزلة إن الخفيفة أو الثقيلة، إلا أن الهزمة حذفت منها استتقالاتاً لاجتماع ثلاثة معان في كلمة واحدة.^٥
والبصريون على أنها بسيطة.

وقال الفراء أصلها "لكن أن" فطرحت الهزمة للتخفيف، ونون "لكن" للساكنين وباقي الكوفيين: مركبة من "لا" و "إن" والكاف الزائدة، لا التشبيهية، وحذفت الهزمة تخفيفاً (ابن هشام، د.ت، ص: ٥٤٤).^٦

^١ سيأتي ذلك لاحقاً.

^٢ ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، (١٩٨٥م) مقني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، (بيروت: دار الفكر)، ط ٦، ص: ٥٤١.

^٣ انظر الحامي نور الدين عبد الرحمن الجامي، الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: الدكتور أسامة طه الرفاعي، (دن) د.ط، ص: ١٦٨. وانظر المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص: ٣٨٥.

^٤ الجرجاني عبد القاهر، العوامل المائة في أصول العربية، تحقيق: زهران البدرابي، (القاهرة: دار المعارف، دن)، ط ٢، ص: ١٦٨.

^٥ ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، (مصر: مطبعة الحلبي د.ت)، دن، ص: ٦١٧.

^٦ ابن هشام، مقني اللبيب، ص: ٥٤٤.

صوت لکن:

وصورة التلفظ بها هي (لا كن) وحذفت منها الألف خطأ لا لفظاً، وتتألف من ثلاثة مقاطع صوتية هي: لا، كن، ن. أو على أن الأصل "لكن إنني" ثم حذفت الهمزة تخفيفاً، ونون لكن للساكنين (فتحية عبدة، ٢٠٠١، ص ٦).^١

المطلب الثاني: عمل لکن.

هي من الحروف الناسخة التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر.

قال ابن جني (١٩٧٢، ص: ٣٧): "فهذه الحروف كلها تدخل على المبتدأ والخبر فتتصب المبتدأ ويصير اسمها وترفع الخبر ويصير خبرها واسمها مشبه بالمفعول وخبرها مشبه بالفاعل^٢. يقول الزجاج (د.ت، ص ٦٥) وإنما نصبت الاسم ورفعت الخبر لمضارعتها للفعل وذلك أنها تطلب اسمين كما يطلبها الفعل المتعدي^٣.

المطلب الثالث: أوجه الشبه بين لکن والفعل.

أشبهت "لكن" التي هي من أخوات إن الفعل لفظاً ومعنى. فمن حيث البنية اللفظية فهي تشبهها في كونها تأتي على ثلاثة أحرف كما هو شأن الفعل، كما أنها مبنية على الفتح كما هو حال الفعل الماضي المبني على الفتح (الأنباري، د.ت، ص ١٧٨).^٤

أما من الناحية المعنوية فتشبهها من حيث أنها تقتضي اسماً كما يقتضي الفعل الاسم وان فيها معنى الفعل فمعنى (لكن) استدركت.

قال المبرد: إن وأخواتها أشبهت الأفعال، لأنها لا تقع إلا على الأسماء، وفيها المعاني من الترجي والتمني والتشبيه.^٥

المطلب الرابع: لکن ولكن.

فرق ابن هشام بين لكن المخففة من الثقيلة باعتبارها مشتقة من لكن وبين لكن التي جاءت خفيفة بأصل الوضع، فجلبها على ضربين:

^١ انظر فتحية عبدة، (٢٠٠١م) لكن في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية، جامعة الجزائر، (الجزائر: قسم الرسائل، كلية الآداب واللغات)، د.ط.، ص: ٦.

^٢ الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق (٥١٤٠هـ) - الجمل في النحو، تحقيق: علي توفيق الحمد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأردن: دار الأمل)، ط ١، ص: ٦٥.

^٤ الأنباري أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإصناف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، (دمشق: دار الفكر د.ن) د.ط.، ج: ١، ص: ١٧٨.

^٥ المبرد محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق، (بيروت: عالم الكتاب)، د.ط.، ج: ٤، ص: ١٠٨.

"لكن" المشددة. يقول سيبويه (د.ت، ١٤٥ / ٢): "ولكن المتقلة في جميع الكلام بمنزلة (إن)"^١.

قال ابن هشام: لكن ساكنة النون ضربان:

الاول: مخففة من الثقيلة، وهي حرف ابتداء، لا تعمل، لدخولها بعد التخفيف على الجملتين. الثاني: خفيفة بأصل الوضع، فإن وليها كلام فهي حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستترار، وليست عاطفة (ابن هشام، ١٩٨٥، ص: ٥٤٨).^٢

ويجوز أن تستعمل بالواو، نحو {وَمَا ظَلَمْنَا هُمْ وَوَلَّيْنَا لَهُمُ الظَّالِمِينَ} [الزخرف: (٧٦)]. وبدونها (ابن هشام، ١٩٨٥، ص: ٥٤٩).^٣

أما أن تكون مخففة من الثقيلة فلا تدخل إلا على جملة وبناء على ذلك تكون ابتدائية وإما أن تكون خفيفة النون أصلاً فإن دخلت على جملة كانت ابتدائية أيضاً وإن دخلت على مفرد وكان ما قبلها مثبتاً كانت ابتدائية أيضاً وقدّر لهذا المفرد ما يكمل جملته وهذا هو رأي البصريين أما اللكوفيين فيرونها عاطفة (الجرجاني، ١٩٨٢، ١٩٤٧/٢).^٤

وثمره الخلاف في أصلها، أن من قال أنها مخففة من الثقيلة، أبطل عملها، والعلة في ذلك زوال اختصاصها بالجملة الاسمية (السيوطي، د.ت، ١٨٨/٢).^٥

قال ابن هشام (١٩٨٥، ص: ٥٥٠): "وإن وليها مفرد فهي عاطفة بشرطين: أحدهما: أن يتقدمها نفي أو نهي، نحو: "ما قام زيد لكن عمرو"، و "لا يقم زيد لكن عمرو"، فإن قلت "قام زيد"، ثم جئت ب"لكن" جعلتها حرف ابتداء، فجئت بالجملة، فقلت: "لكن عمرو لم يقم". الشرط الثاني: ألا تفترن بالواو، وقال قوم: لا تستعمل مع المفرد إلا بالواو"^٦.

^١ سيبويه، الكتاب، ج: ٢، ص: ١٤٥.

^٢ ابن هشام، مغني اللبيب، ص: ٥٤٨.

^٣ ابن هشام، مغني اللبيب، ص: ٥٤٩.

^٤ انظر الجرجاني عبد القاهر (١٩٨٢م) المقصد في شرح الإيضاح، تحقيق: د. كاظم المرجان، (العراق: دار الرشيد للنشر)، ط١، ج: ٢، ص: ٩٤٧.

^٥ انظر السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم، (الكويت: دار البحوث العلمية، د.ن)، د.ط. ج: ٢، ص: ١٨٨.

^٦ ابن هشام، مغني اللبيب، ص: ٥٥٠، وانظر الصيمري ابو محمد عبد الله بن علي (١٩٨٦م)، التبصرة والتذكرة، تحقيق: د. فتحي أحمد في النحو والصرف (مكة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث)، ط١، ج: ١/ص: ١٣٦.

المطلب الخامس: معاني ودلالة لكن عند النحاة.

أولها: أنه واحد، وهو الاستدراك، وفسر بأن تنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها، نحو: "ما هذا ساكناً لكنه متحرك"، أو ضد له، نحو "ما هو أبيض لكنه أسود" (ابن هشام، ١٩٨٥، ص: ٥٤١).^١

قال ابن هشام الثاني: أنها ترد تارة للاستدراك، وتارة للتأكيد، وفسروا الاستدراك برفع ما توهم ثبوته نحو: "ما زيد شجاعاً لكنه كريم"، لأن الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان، ففي أحدهما يوهم انتفاء الآخر (ابن هشام، ١٩٨٥، ص: ٥٤٢).^٢

"وما قام زيد، لكن عمرو قام"، وذلك إذا كان بين الرجلين تلابس، أو تماثل في الطريقة، ومثلوا التوكيد بنحو: "لو جاعني أكرمته لكنه لم يجيء" فأكدت ما أفادت "لو" من الامتناع.

والثالث: أنها للتأكيد دائماً مثل "إن" ويصحب التوكيد معنى الاستدراك (ابن هشام، ١٩٨٥، ص: ٥٤٣).^٣

إجمال المعاني التي تدل عليها لكن:

سبق أن فيه لغتان التشديد والتخفيف، وفي كلتا اللغتين معناها الاستدراك، والتوكيد. أما العطف فلا يكون إلا في المخففة.

أولاً: الاستدراك.

في اللغة: استدراك الشيء بالشيء إذا حاول إدراكه به واستعمل هذا الأخص في أجزاء العروض فقال: لأنه لم ينقص من الجزء شيء فيستدركه (ابن منصور، د.ت، ١٠/٤٢١).^٤ وهو طلب تدارك السامع (الجرجاني، ١٤٠٥، ص: ٢١).^٥ واستدركت ما فات تداركته (مجمع اللغة العربية، د.ت، ١/٢٨١).^٦

أما اصطلاحاً: أن تنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لما قبلها، لذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها، نحو: ما هذا ساكناً لكنه متحرك (ابن هشام الأنصاري، ١/٢٩٠).^٧

^١ ابن هشام، معني اللبيب: ص ٥٤١.

^٢ ابن هشام، معني اللبيب: ص ٥٤٢.

^٣ ابن هشام، معني اللبيب: ص ٥٤٣.

^٤ ابن منصور، لسان العرب، مادة: درك، م ١٠، ص: ٤٢١.

^٥ الجرجاني، التعريفات، ص: ٢١.

^٦ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة درك، ج: ١، ص: ٢٨١.

^٧ ابن هشام الأنصاري، معني اللبيب، ج: ١، ص: ٢٩٠.

ويقول الزجاج في معناها: دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعا شبيها بالاستثناء، ولذلك قدر الاستثناء المنقطع بـ"لكن" لأن ما بعدها مخالف لما قبلها كـ "إلا" في الاستثناء. فإذا قلت: جاعني زيد، فكأنه توهم أن عمراً جاعك أيضاً لما بينهما من الإلفة فرفعت ذلك التوهم بقولك: لكن عمراً لم يجيء. فمعنى الاستدراك لا يتحقق إلا إذا وقعت "لكن" بين كلامين متنافيين بوجه ما (ابن السيد، ١٣٩٩، ص: ٩٣).^١

قال الزمخشري (د.ت، ص ٣٠٠): أن لكن تتوسط بين كلامين متقاربين نفيًا وإيجابًا، فيستترك النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي نحوك ما جاعني زيد لكن عمراً جاعني أو جاعني زيد لكن عمراً لم يجيء.^٢

وقيل هو: رفع ما يتوهم ثبوته نحو: ما زيد شجاعا لكنه كريم، لن الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان، ففني أحدهما يوهم انتفاء الآخر (ابن هشام، ١/٢٩١).^٣

قال الجرجاني (د.ت، ص ١٦٨): رفع توهم يتولد من الكلام السابق فإن قلت: جاعني زيد يوهم السامع أن عمرواً أيضاً جاعك لما بين زيد وعمرو من الملازمة في المجيء وعدمه، فرفعت توهم السامع بقولك لكن عمرو لم يجيء.^٤

ثانياً: التوكيد.

لغة: هو مصدر وكد والتأكيد هو مصدر أكد (السيوطي، ٢/١٢٢).^٥

قال ابن منصور: "أكدته وكدته أي شددته" والهمزة لغة فيه (ابن منصور، د.ت، ٣/٧٤).^٦

والتوكيد هو تثبيت الشيء في النفس، وتقوية أمره (مهدي المخزومي، ١٩٦٤، ص ٢٣٤)^٧، وهو في عرف البلاغيين تثبيت نسبة المسند إلى المسند إليه في نفس المخاطب وتقويتها، وذلك لغرض إزالة ما قد علق في نفسه عليها، وإذا كان خالي الذهن

^١ انظر: عبد الله بن السيد، (١٣٩٩هـ) إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي، تحقيق: حمزة عبد الله النشترتي، (الرياض: دار المريخ، -)، ط١، ص: ٩٣.

^٢ الزمخشري، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، (بيروت: دار الجيل)، ط٢، ص ٣٠٠.

^٣ ابن هشام، مغني اللبيب، ج: ١، ص: ٢٩١.

^٤ الجرجاني، العوامل المائة، ص: ١٦٨.

^٥ السيوطي، همع الهوامع، ج ٢، ص: ١٢٢.

^٦ انظر: ابن منصور، لسان العرب، مادة وكد: ٧٤/٣.

^٧ مهدي المخزومي، (١٩٦٤م) النحو العربي نقد وتوجيه، (بيروت: المكتبة المصرية)، ط١، ص: ٢٣٤.

من الحكم والتردد فيه، فلا يحتاج إلى مؤكّدات الحكم، أما إذا كان متردّد فيه، فإنه يمكن تقوية الحكم بمؤكّد، وأما إذا كان منكرًا لذلك فينبغي توكيد الحكم له على قدر الإنكار (فضل حسن، ٢٠٠٧، ص ٣٨١).^١

فالغرض من التوكيد هو إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك، وإمطة ما خالجه من شبهات^٢. ومن هذا الغرض أغراض أهمها: التنبيه، والتهديد، والتذكير، واسترعاء الانتباه إلى عاطفة معينة كالحنن والفرح^٣.

أما "لكن" فتفيد التوكيد إذا كان ما قبلها مناقضاً لما بعدها

ذهب السهيلي إلى أنها أخذت معنى الاستدراك من "لا" النافية، والتوكيد من "إن" (الأنباري، دت، ١/٢٠٩)^٤ وهذا متفق مع جميع الاستعمالات القرآنية التي ترد بعد ذلك. والتأكيد لفظي بتأكيد الشيء بنفسه، ومعنوي وهو ما يؤكد بغيره، و"لكن" من أدوات التوكيد المعنوي، لأنها تؤكد معنى الجملة الاسمية بعدها (العكبري، ١٤١٩، ص ١٠٩).^٥

تعقيب: المشهور عند جمهور النحاة أنها للاستدراك فقط (ص: ٢٢٩)^٦. وترد للاستدراك والتوكيد (ابن أبي الربيع، ١٩٨٦، ٢/٧٦٦)^٧، وترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك ويمكن الترجيح بين أقوال النحاة في أفادتها مع الاستدراك التوكيد من خلال النظر في استعمالها في القرآن الكريم وهل أفادت هذه المعاني كلها.

ثالثاً العطف.

لغة: الميل والثني والرجوع، قال ابن منظور: "عطف يعطف عطفًا: انصرف وعطف عليه يعطف عطفًا: رجع عليه بما يكره وله بما يريد، وعطفت رأس الخشبة فانعطفت، أي حنيتة

^١ انظر فضل حسن عباس، البلاغة فونونها وأفانها، علم المعاني، (عمان: دار الفرقان، ٢٠٠٧م)، ط ١، ص: ٣٨١.

^٢ السيوطي، همع الهوامع، ج: ٢، ص: ١٢٢.

^٣ انظر إلياس ديب، أساليب التأكيد في اللغة العربية، (دار الفكر العربي، دن) دط، ص: ٨.

^٤ انظر الأنباري أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيّين، (دمشق: دار الفكر دن) دط، ج: ١، ص: ٢٠٩.

^٥ نظر العكبري أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، (١٤١٩هـ) الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة -)، دط، ص: ١٠٩.

^٦ ذكر ذلك في أساليب الإضراب ص: ٢٢٩ قال: منهم سيبويه، الكتاب، ج: ١، ص: ٥٤٣، والمبرد في المقتضب، ج: ١، ص: ١٥٠، والرضي، شرح الكافية، ج: ٤، ص: ٣٣٢. وغيرهم.

^٧ ابن أبي الربيع، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق عياد الثبيتي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي)، ط ١، ج: ٢، ص: ٧٦٦.

فانحنى. وعطفت أي ملت، وتعطف في مشيته تنثى" (ابن منصور، د.ت، ص: ٢٤٩/٩)^١.

وإصطلاحاً: نوعان. "عطف بيان". "عطف نسق". أما البيان" تابع غير صفة يوضح متبوعه. نحو: أقسم بالله أبو حفص عمر (الاسترأبادي، د.ت، ص ٣٩٥)^٢.

وأما النسق" تابع مقصود بالنسبة مع متبوعه، يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة" (الرضي، د.ت، ٢/٣٣١)^٣. ومن هذه الحروف العشر" لكن" كما ذكر ابن مالك (ابن عقيل، ١٤٠٠، ٢/٢٣٤)^٤.

فوضع ابن جني (١٩٧٢، ص: ٣٧) "لكن" الخفيفة ضمن حروف العطف^٥، وسماها الرمانى (١٤٠١، ص: ١٣٣) بالمخففة.^٦

قال ابن هشام (١٩٨٥، ص: ٥٥١): واختلف في نحو: "ما قام زيد ولكن عمرو" على أربعة أقوال:

أولها ليونس: إن "لكن" غير عاطفة، والواو عاطفة مفردا على مفرد.

الثاني لابن مالك: إن "لكن" غير عاطفة، والواو عاطفة لجملة حذف بعضها على جملة صرح بجميعها، قال: فالتقدير في نحو" ما قام زيد ولكن عمرو". ولكن قام عمرو (ابن هشام ١٩٨٥، ص: ٥٥١)^٧.

وفي {ولكن رسول الله} ولكن كان رسول الله، وعلّة ذلك أن الواو لا تعطف مفردا على مفرد مخالف له في الإيجاب والسلب، بخلاف الجملتين المتعاطفتين، فيجوز تخالفهما فيه

^١ انظر ابن منصور، لسان العرب، مادة عطف. ج: ٩، ص: ٢٤٩.

^٢ انظر الرضي رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، شرح الرضي على الكافية، (الشاملة: د.ن) د.ط، ج: ٢، ص: ٣٩٥.

^٣ الرضي، شرح الكافية، ج: ٢، ص: ٣٣١.

^٤ ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، سعيد جودة السحار، (القاهرة: دار التراث -، دار مصر للطباعة ١٤٠٠ هـ)، ط ٢٠، ج: ٢، ص: ٢٣٤.

^٥ ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، كتاب اللمع في العربية تحقيق: فائز فارس. (الكويت: دار الكتب الثقافية، ١٩٧٢م)، ص: ٣٧.

^٦ الرمانى أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (جدة: دار الشرق، ١٤٠١)، ط ٢، ص: ١٣٣.

^٧ ابن هشام، مغني اللبيب، ص: ٥٥١.

نحو: "قام زيد ولم يقم عمرو". والثالث لعصفور: إن "لكن" عاطفة، والواو زائدة لازمة. والرابع لبن كيسان: إن "لكن" عاطفة، والواو غير لازمة (ابن هشام ١٩٨٥، ص: ٥٥٢).^١ وعليه فأغلب النحاة على أن "لكن" يصح أن تكون عاطفة. لكن جعلوا لها شروطاً. شروط العطف ب"لكن":

- أن يتقدما نفي أو نهي نحو: ما قام زيد لكن عمرو، ولا يقيم زيد لكن عمرو.
 - ألا تقترن بالواو (ابن هشام ١٩٨٥، ص: ٥٥٢).^٢
 - أن يكون المعطوف بها مفرداً (عباس حسن ١٩٧٥م، ٣/٤٩٦).^٣
- "ولما كان الكلام قبل "لكن" العاطفة منفياً دائماً أو منهيّاً عنه، وجب أم يكون الكلام بعدها مثبتاً دائماً وغير منهي عنه".^٤ لأن المعطوف بها محكوم له بالثبوت سواء أكان ذلك بعد نفي أو نهي (الطائي ١٩٨٦، ٣/١٢٣).^٥
- وتفيد "لكن" العاطفة القصر الإضافي، تقول: ما عمرو جبان لكن شجاع، فهو قصر موصوف على صفة بطريق العطف بـ "لكن" وهو قصر قلب، ذلك أن المخاطب كان يعتقد أن عمرا جبان لا شجاع فقلب المتكلم هذا الحكم.

المبحث الثالث: الحرف " لكن " في القرآن الكريم ودلالاته البيانية.

المطلب الأول: عدة ورود " لكن " في القرآن.

وردت " لكن " مشددة النون وساكنة النون، مائة وثلاثون مرة في القرآن الكريم، ثمان وستون مرة ساكنة، واثنان وستون مرة مشددة النون.^٦

المطلب الثاني: معاني " لكن " في القرآن الكريم ودلالاتها البيانية.

"لكن" المشددة في القرآن أفادت ثلاثة معان، الاستدراك، والاستدراك مع التوكيد، والتوكيد مجرداً عن الاستدراك. والمخففة أفادت بالإضافة إلى هذه المعاني، العطف.

^١ ابن هشام، معني اللبيب: ص: ٥٥٢.

^٢ ابن هشام، معني اللبيب: ص: ٥٥٢.

^٣ عباس حسن (١٩٧٥م)، النحو الوافي، (مصر: دار المعارف)، ط٥، ج: ٣، ص: ٤٩٦.

^٤ عباس حسن، النحو الوافي، ج: ٣، ص: ٤٩٧.

^٥ انظر الطائي كمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (١٩٨٦م) شرح الكافية الشافية، (دار المأمون

للنثر)، ط١، ج: ٣، ص: ١٢٣.

^٦ نتبته في المعجم المفهرس فوجدته وكذلك من خلال البحث في الشاملة الإلكترونية.

المعنى الأول: الاستدراك ودلالته البيانية في القرآن.

تفيد "لكن" الاستدراك إذا وقعت بعد النفي أو الإثبات و التوكيد أو الشرط ، وقد وقعت في القرآن الكريم بهذه التراكيب، وليس بالإمكان استقصاء هذه الآيات كلها، وسأمثل بمثال واحد لكل تركيب:

الصورة الأولى للاستدراك : أن تأت "لكن" بعد النفي فتحمل معنى التهديد الوعيد.

كثر وقوع لكن بعد النفي في القرآن، لأنه معنى واسع، فيكثر أن يحتاج المتكلم بعده إلى زيادة بيان، فيأتي بالاستدراك (ابن عاشور، ٢٠٠٠، ٨/١٤٩).^١
قال تعالى: ﴿وَوَظَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلَّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: (٥٧)]. جاءت لكن في هذه الآية بعد النفي بـ"ما".

قال الإمام أبو حيان (١٤٢٠، ١/٢١٤): "لما تقرر أنه قد وقع منهم ظلم فلما نفى ذلك الظلم أن يصل إلى الله تعالى بقيت النفس منشوقة ومتطلعة إلى ذكر ما وقع به الظلم فاستدرك بأن ذلك الظلم الحاصل منهم إنما كان واقعا بهم".^٢

وذهب الزمخشري (١٤٠٧، ١/٢٦٧) على أن ﴿وما ظلمونا﴾ عطف على محذوف أي فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر أو فظلموا بأن كفروا النعم ﴿وما ظلمونا﴾ بذلك.^٣

قال ابن عاشور (٢٠٠٠، ١/٥١١): "والذي يظهر لي أن لا حاجة إلى التقدير وأن جملة ﴿وما ظلمونا﴾ عطف على ما قبلها لأنها مثلها في أنها في أحوال بني إسرائيل ومثال ذكر هذه الجملة هو ما تضمنته بعض الجمل التي سبقت من أن ظلما قد حصل منهم من قوله ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ فكان قوله: ﴿وما ظلمونا﴾ تمهيد له وتعجيلا بتسجيل قلة شكرهم على نعم الله وعنايته بهم".^٤ والميل إلى رأي ابن عاشور لأنه كما قال لا حاجة لتقدير محذوف.

^١ انظر ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور (بيروت - لبنان: مؤسسة التاريخ العربي)، ط ١، ج: ٨، ص: ١٤٩.

^٢ أبو حيان محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (١٤٢٠هـ) - تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر)، د. ط، ج: ١، ص: ٢١٤.

^٣ الزمخشري، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، (١٤٠٧ هـ) - الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت: دار الكتاب العربي - سنة الطبع:)، د. ط، ج: ١، ص: ٢٦٧.

^٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١، ص: ٥١١ وما بعدها.

قلت: وهذا الاستدراك يحمل في طياته معنى التهديد والوعيد، فبعد أن ذكر نعمه المترادفة عليهم، وهم قابلوها بالجحود، استحقوا بذلك ما سينالهم من العذاب والترك لأن من يمن الله عليه بالرعاية والعناية، يكون من المتوقع له أن يقابل الإحسان بمثله مع خالص الامتثال، وإلا كان ظالماً، ولما كان البشر عموماً أحقر من أن يتعدى ضرهم إلى خالقهم كان عين ذلك الظلم منهم لأنفسهم فجاء الاستدراك بعد أن نفى هذا التعدي ليبين أين وقع الظلم. أما وقد جحد فليستعد لفقد هذه الامتيازات وفوقها مزيد من اللعنات. فهم مع إقبالنا عليهم وتلطفنا بهم شاحوا بوجوههم اعتداداً بأنفسهم، واستغناء ظناً منهم أنهم سينجون بفعلتهم، وهذا من غرور الكبر بصاحبه، والناس اليوم كم يفضل عليهم المنعم فيكون لسان حالهم كقول قارون {إنما أوتيته على علم} فهل يكونون وهذا حالهم ظالمين إلا لأنفسهم.

الصورة الثانية للاستدراك: أن تأت لكن بعد الإثبات والتوكيد فتحمل معنى الإغواء والإمهال.

قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٠١ و١٠٢].

نرى أن "لكن" في الآية جاءت بعد التوكيد بالألا، فذهب الزمخشري إلى أن "ألا" مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً كقوله تعالى {اليس ذلك بقادر}¹. [القيامة (٤٠)]. وجاء التأكيد مناسباً لادعائهم حيث قالوا {إنما نحن مصلحون} قال الزمخشري (د.ت، ١/١٠١): "ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد"².

والعجب من دعواهم حيث قصروا أنفسهم على الإصلاح "وهذا إما ناشئ عن جهل مركب وعليه اعتقدوا الفساد صلاحاً فأصروا عليه واستكبروا استكباراً، وإما جار على عادتهم في الكذب وقولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم"³ وإما لما في قلوبهم من مرض قصروا الإفساد بصورة الإصلاح (البيضاوي، د.ت، ٢/١٧٠)⁴.

¹ الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ١٠١

² الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ١٠١.

³ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الشاملة. (د.ن)، د.ط، ج: ١، ص: ٤٤.

⁴ انظر البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، مدارك التأويل وأسرار التفسير (بيروت: دار الفكر)، د.ط، ج: ٢، ص: ١٧٠.

فجاء الجواب من الله {ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} "في تمام البلاغة بأن بدأت الجملة بحرفي التوكيد (ألا وإن) وتأكيد الخبر بضمير الفصل ، ثم استترك عليهم جهلهم من عدم الشعور بالفساد" للإيدان بأن كونهم مفسدين من الأمور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونها ولولا ان المراد تفصيل جنباياتهم وتعيد خباثتهم وهناتهم ثم اظهر فسادها وإيانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب" (أبو السعود، د.ت، ١/٤٤) ^١.

وقال أبو حيان (د.ت، ١/٦٦) في معنى الاستراك {ولكن لا يشعرون} غير ذلك: "أن الإخبار عنهم (هم المفسدون) يتضمن علم الله ذاك فكان المعنى إن الله قد علم أنهم هم المفسدون ولكن لا يعلمون ذلك" ^٢.

قلت: الشعور له معنى أخص وأرق من العلم، والمعنى أن الذي يختار على الهدى الضلالة زاده الله ضلالا فوق ضلاله فلا يعود يميز بين ما هو هدى مما هو ضلال فهو يعيش في حالة من الحمق والغباء، وفي هذا يقول تعالى {قل هل انبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا} [الكهف: ١٠٤]. فهؤلاء غير مدركين لضلالهم، {ويضل الله الظالمين}.

فهم لما علموا أنهم مفسدون، وأصروا على ذلك، أضلهم الله على علم فخرم على سمعهم وأبصارهم، فأصبحوا يرون الهدى في الضلال، وذلك زيادة من الله في إغوائهم {ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله} {أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم} فعادة الله تعالى فيمن يعرض الهدى على قلبه فيعرض عنه مصراً مستكبراً أن يطمس الله على قلبه فيصبح يرى الضلالة عين الهدى، وذلك من الله تعالى إضلال لهؤلاء، لأن المرء يتعظ ويرتدع ويتوب ويأوب ويؤمن بوازع قلبي يستحته وهو هداية الله، فإذا انطمس لم يعد عنده باعث يحثه ويقاظه ويذكره أنه في خسار، فيركن إلى ما اختاره على الهدى، فيتخذ أحكامه من خلال هذا الضلال ويحسب أنه على شيء؛ لأن النفس مجبولة على حب المعالي وبناء الأمجاد فإذا لم تتخذ لذلك طريقاً مستقيماً، سلكت بصاحبها كل اعوجاج، لبلوغ ذلك موهمة صاحبها أنه على الهدى والصواب سائر، لذلك فإن هؤلاء لا يشعرون أنهم مفسدون فإذا راجعتهم {قالوا إنما نحن مصلحون} وهنا روعة الاستراك في الآية. ففيه ما فيه من الدلالة على الإغواء والإمهال لما تاه العتاة في الغرور والغفلة التي فيها

^١ أبو السعود، تفسير أبي السعود ج: ١، ص: ٤٤.

^٢ انظر أبو حيان، البحر المحيط، ج: ١، ص: ٦٦.

يعمهمون، تبادلت نفوسهم عن تلمس الحق فتأهوا في الغي {ويحسبون أنهم مهتدون} {أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً..} وفي هذا المعنى دليل على أن الهداية والضلال من الله تعالى، ردا على من ناقض صريح الآيات وزعم خلاف ذلك.

وثمرة الخلاف بين الزمخشري وأبو حيان، أن توجيه الزمخشري يفيد أن لكن وقعت بعد توكيد، أما على توجيه أبو حيان فهي واقعة بعد نفي. ومن وجهة نظري فرأى الزمخشري أرجح، لأن توجيه أبو حيان النحوي على اعتبار أن هناك محذوف، بينما الزمخشري لم يحتج إلى ذلك، ثم إن عبارة الزمخشري أبلغ في إفادة المعنى البياني، الذي سبق الكلام فيه.

الصورة الثالثة للاستدراك: أن تأت لكن بعد الشرط فتحمل معنى التوكيد والإثبات

قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ١٠٤].

نلاحظ في الآية أن لكن وقعت بعد جملة شرطية، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء قبلها نفي وبعدها إثبات، فالمعنى استدراك النفي بالإثبات.

والمقصود "إن شككتم في صحة ديني وسداده فهذا ديني فاسمعوا أوصافه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانتصاف لتعلموا أنه دين لا دخل فيه للشك وهو أني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو إلهكم" (الزمخشري، د.ت، ١/٣٣٢) أو "إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أثبت أم أتركه وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى" (الزمخشري، د.ت، ١/٣٣٢).

قلت: حمل الاستدراك معنى الإثبات، فبعد أن نفى عبوديته لألتهم أثبت بالاستدراك أنه يعبد الله، وجاء المعنى مثبتاً لأن نفيه لعبودية ألتهم أفاد بعد أن استترك اختصاص عبوديته لله، فصار المعنى لا أعبد ألتهم، أعبد الله، كأنه قال: لا أعبد إلا الله.

ومما تحمله الآية من معنى قوة الموقف والصدوع بالحق، فهو كأنه على الملأ وقد اجتمعوا، فنأى فيهم لا أعبد ألتهم، وكأن لسان حالهم وقد تنبهوا ينتظرون لازم هذا القول، فجاء بالاستدراك ليثبت أنه يعبد لكن معبوده ليس ألتهم بل هو إله العالمين.

^١ الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ٣٣٢.

^٢ الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ٣٣٢.

المعنى الثاني: الاستدراك والتوكيد والدلالة البيانية في القرآن.

سبق أن هناك من قال أن "لكن" لا تأتي للتوكيد، لكننا نجد ما يدل على أنها تأتي للتوكيد في القرآن الكريم والقرآن حجة على اللغة وليس العكس.

ففي الآية التالية جاءت بعد نفي، لنفي التوكيد، حيث وقعت بين متناقضين.

قال الله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة (١٠٢)].

جاءت الآية تبرئة من الله لسليمان عليه السلام من السحر وتعليمه، ولم يتقدم في الآية إن أحداً نسبه إلى الكفر، ولكن اليهود نسبته إلى السحر، ولما كان السحر كفراً صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر، ثم قال {ولكن الشياطين كفروا} فأثبت كفرهم بتعليم السحر (القرطبي، د.ت، ٤٣/٢).^١ والواو جاءت عاطفة للجملة الاستدراكية (السمين الحلبي، د.ت، ٢٩/٢).^٢

نرى كيف أفادت "لكن" الاستدراك والتوكيد معا وهذا رأي السهيلي، خلافاً لجمهور النحاة كما سبق، ومن خلال معنى الآية التي جاءت "لكن" بها بمعنى الاستدراك والتوكيد، يترجح ما ذهب إليه السهيلي، لأن القرآن حجة على اللغة. وفيما يلي تفصيل لمجيئها خلال النظم القرآن.

أولاً: أن تأتي "لكن" بعد النفي فتحمل معنى التعليل.. أو التبيكيت والتخويف

قال تعالى: {يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [سورة الحج: ٢].

هنا وصف لأحوال وأهوال يوم القيامة، وتصوير لحالة الناس في ذلك اليوم وأنهم سكارى من غير سكر، فجاء الاستدراك بعد النفي ليبين سبب هذه الحالة التي أصابتهم فقال (ولكن عذاب الله شديد) وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي كأن قيل إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سببه فقال: سببه شدة عذاب الله تعالى (الزمخشري، د.ت، ٥٦/٢).^٣

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ٢، ص: ٤٣.

^٢ السمين الحلبي، الدر المصون، ج: ٢، ص: ٢٩.

^٣ الزمخشري، الكشاف، ج: ٢، ص: ٥٦.

يقول الزجاج: "إنك ترى الناس سكارى من العذاب والخوف وما هم بسكارى من الشرب، ويدل عليه {ولكن عذاب الله شديد} (الزجاج، د.ت، ١٠/٢)¹. فشدّة خوفهم من عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وسلب تمييزهم، فمن يراهم يظنهم سكارى.

قال الألويسي (١٤١٥، ١٧/١١٣): "لوماهم بسكارى" استمرار النفسي وأكد زيادة الباء للتنبية على أن ما هم فيه من المعهود في شيء وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله وأشير إلى سببه بقوله تعالى ولكن عذاب الله شديد، أي إن شدة عذابه تعالى تجعلهم كما ترى وهو استدرارك على ما في الانتصاف راجع إلى قوله تعالى: "لوما هم بسكارى"².

لكننا نرى أبو حيان - رحمه الله - يقول: "أثبت أنهم سكارى على طريق التشبيه ثم نفى عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل وجاء هذا الاستدراك بالإخبار عن عذاب الله أنه شديد لما هو بالنسبة إلى العذاب كالحالة الهينة اللينة وهو الذهول والوضع ورؤية الناس أشباه السكارى فكأنه قيل: هذه أحوال هينة {ولكن عذاب الله شديد} ليس بهين ولا لين لأن "لكن" لا بد أن تقع بين متناقضين بوجه ما.³ لكن نجد صاحب روح المعاني يرده لأنه خلاف الظاهر جدا (١٤١٥، ١٧/١١٣)⁴.

قلت: يتساءل السامع عن سبب رؤية الناس في حالة السكر في ذلك اليوم العظيم، فيجيء النفسي لينفي حقيقة سكرهم، ويتبعه بالاستدراك أن ذلك السكر واقع بسبب شدة عذاب الله تعالى.

والاستدراك فيه ما فيه من معنى التبكيت، والتخويف والتحذير، ليوحي بعظمة وكبرياء صاحب الملك في ذلك اليوم.

ثانياً: أن تأتي "لكن" بعد الإثبات والتوكيد فتحمل معنى التنبية والإيقاظ.

فالمقصود أن لا يسبقها نفي، وتسبق بتوكيد، بأن تأتي جملة مؤكدة بأحد حروف التوكيد أو طرقة الأخرى.

¹ انظر الزجاج، معاني القرآن، ج: ٢، ص: ٤١٠.

² الألويسي شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألويسي، (١٤١٥ هـ) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية -)، د.ط، ج: ١٧، ص: ١١٣.

³ انظر أبو حيان محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (١٤٠٧ هـ) النهر الماد من البحر المحيط، (بيروت: دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية -)، ط، ١، ج: ٢، ص: ٤٨٦.

⁴ الألويسي، روح المعاني، ج: ١٧، ص: ١١٣.

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } [البقرة (٢٤٣)].
 جاءت "لكن" في الآية بعد الإثبات والتأكيد.

والمراد إخبار من الله لنبيه عن قوم من البشر، خرجوا من ديارهم فرارا من الموت، فأماهم الله تعالى ثم أحياهم ليروا أن الإمامة بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف، ولا لاغترار مغتر {إن الله لذو فضل على الناس} فانه عز وجل هو صاحب المن والعطاء، إذ تفضل على أولئك بالإحياء بعد الإمامة حتى يعتبروا بما حصل لهم، وتفضل على من سمع القصة بالهداية إلى الاعتبار والاتعاظ {ولكن أكثر الناس لا يشكرون} فكان من الواجب على الناس شكر الله على فضله ومنه إلا إن أكثرهم لا يشكرون ولا يحمدون (الطبري، د.ت، ٢/٥٨٥) ^١.

وجاءت "لكن" للاستدراك والتوكيد فبعد ما أثبت فضل الله على الناس، نفى شكر أكثر الناس له، ولم تقع بين متضادين تضادا حقيقيا، وفي هذا يقول الرضي (الاسترلابادي، د.ت، ٤/٣٧٢): "لا يلزم التضاد بينهما تضادا حقيقيا بل يكفي تنافيهما بوجه ما، فإن عدم الشكر غير مناسب للإفضال، بل اللائق به أن يشكر المفضل" ^٢.

"هذا الكلام ظاهره خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه لا يبعد أن يكون المراد هو وأمته إلا أنه وقع الابتداء بالخطاب معه" (الرازي، د.ت، ٦/١٣٨) ^٣. "ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب" (الزمخشري، ١/٣١٨) ^٤.

وجاءت "لكن" بعد جملة مؤكدة بأداتين هما: إن واللام المزحلقة الداخلة على خبر "إن" (نو) وهو مناسب للمقام في سياق الكلام عن فضل الله العظيم، لدلالة هذا اللفظ على الشرف، خلافا لكلمة صاحب (الطيب، ١٩٩٤، ٢/٢٣٦) ^٥.

^١ انظر الطبري أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن للطبري المحقق: مكتب التحقيق بدار هجر، (الناشر: دار هجر)، ط١، ج: ٢، ص: ٥٨٥. والذي بعدها، وانظر ابن عطية، المحرر الوجيز: ٢/٣٤٥.

^٢ الاسترلابادي، شرح الرضي على الكافية: ٤/٣٧٢.

^٣ الرازي، التفسير الكبير، ج: ٦، ص: ١٣٨.

^٤ الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ٣١٨.

^٥ عبد الجواد الطيب، (١٩٩٤م) الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم، (مكتبة الآداب)، ط٢، ج: ٢، ص: ٢٣٦.

والاستدراك بالـ"لكن" هو مما تضمنه ما قبله، فكان التقدير: يجب أن يشكروا فضله ولكن أكثر الناس لا يشكرون، وجوز أن يراد بالشكر الاستبصار والاعتبار (الألوسي، ٢/١٦١).^١
 فضل الله على الناس عظيم فهو من عليهم بأن أحياءهم وهداهم الى الاعتبار (الزمخشري، ١/١١٤).^٢ ولكن أكثر الناس يجدون هذا الفضل - نسأل الله السلامة. وفي "لكن" معنى التوكيد على عدم شكر أكثر الناس، وفي هذا الاستدراك معنى التنبيه لنوي الأبواب على استدامة شكرهم لربهم ومولهم حتى لا يكونوا كهؤلاء.

ثالثاً: أن تأتي لكن بعد الشرط فتحمل معنى التنبيه والامتنان.

قال تعالى ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: (٢٥١)].

فاستجاب الله لدعائهم فأفرغ الصبر عليهم وثبت أقدامهم، ونصرهم على القوم الكافرين، جالوت وجنوده (الرازي، ٢٠٠٠، ٦/٢٠٠).^٣

وقعت "لكن" بعد لولا والاستدراك بها مما تضمنته لولا من تقدير انتفاء الدفاع، لأن أصل لولا لو مع لا النافية: أي لو كان انتفاء الدفاع موجوداً لفسدت الأرض، ولولا هو حرف امتناع لوجود، دخل على جملتين الأولى اسمية والثانية فعلية فربط امتناع الثانية بوجود الأولى، فقد امتنع فساد الأرض لوجود دفع الله الذي لا يجب الفساد (ابن عاشور، ٢٠٠٠، ٢/٥٠٣).^٤

وقد أكدت لكن على فضل الله تعالى الذي شمل جميع الناس .

ومعنى الآية وجه توجيهان فكلمة "دفاع" فيها قولان أحدهما: أنه مصدر لدفع، تقول دفعته دفعاً ودفاعاً فيكون المعنى ولولا دفع الله. والثاني: جعل دفاع من دافع فالمعنى أنه سبحانه إنما يكف الظلمة والعصاة عن ظلم المؤمنين على أيدي أنبيائه ورسله وأئمة دينه، وكان يقع بين أولئك المحقين وأولئك المبطلين مدافعات ومكافحات (الرازي، ٢٠٠٠، ٦/٢٠٣).^٥

^١ الألوسي، روح المعاني، ج: ٢، ص: ١٦١.

^٢ انظر الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ١١٤.

^٣ انظر الرازي فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ط ١، ج: ٦، ص: ٢٠٠.

^٤ انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ٢، ص: ٥٠٣.

^٥ الرازي، التفسير الكبير، ج: ٦، ص: ٢٠٣.

أما ابن عاشور (٢٠٠٠، ٢/٥٠٠) فيرى أن الدفاع مصدر دافع الذي هو مبالغة في دفع لا للمفاعلة، أما إضافته إلى الله فمجاز عقلي، وأسند إلى الله تعالى لأنه هو الذي قدره وقدر أسبابه، فهو الذي يبعث قوة الدفع في الدافع^١.

ووجه الاستدراك في الآية انه لما قسم الناس إلى مدفوع به ومدفوع، وأنه بدفعه بعضهم ببعض امتنع فساد الأرض فيهجس في نفس من منع من تحقيق ما يبتغيه من الفساد في الأرض أن الله غير متفضل عليه فاستدرك ان الله ذو فضل عليه ويحسن إليه وإن لم يبلغ ما كان يرجوه من الفساد، فهو مندرج في عموم العالمين (الرازي، ٢٠٠٠، ٢/٢٧٠)^٢.

قلت: والاستدراك جاء بعد بيان نصر الله لنبيه داود، ثم مزيد فضل الله على داود — عليه السلام — بالملك والحكمة، ثم دفعه الناس بعضهم ببعض، لينبه من خلاله على أن الفضل دق أو جل ظهر سببه أم لم يظهر هو من مالك الملك يؤتته من بشاء، ويصرفه عن بشاء.

ودفاع الله الناس بعضهم ببعض، لتعمر هذه الدنيا التي مبناه على هذا الدفع فبدفع الشر يعم الخير، وبظهور الشر يقاط الخير هذه سنة كونية سنة الدفع. بعدها جاءت "لكن" منبهة نوي الأبواب إلى حكمة الله وحكمه في هذا الكون. والله أعلم.

المعنى الثالث: العطف ودلالاته البيانية في القرآن.

وهي "لكن" الخفيفة، وسبق أن هناك خلاف في أصلها، وأنها تفيد العطف إذا كانت خفيفة بأصل وضعها.

قال ابن مالك: {ولكن رسول الله}، ولكن كان رسول الله، وعلّة ذلك أن الواو لا تعطف مفردا على مفرد مخالف له في الإيجاب والسلب، بخلاف الجملتين المتعاطفتين، فيجوز تخالفهما فيه نحو: "قام زيد ولم يقم عمرو".

أولاً: أن تأت لكن للعطف فتحمل معنى الاختصاص.

قال تعالى {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب (٤٠)].

جاءت لكن لتعطف ما بعدها وهو لفظ "رسول" على لفظ "أبا أحد" (الزمخشري، ٢/٢١٥)^٣ قلت: هذا العطف فيه إفادة اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله وخاتم النبيين.

^١ انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ٢، ص: ٥٠٠.

^٢ انظر الرازي، التفسير الكبير، ج: ٢، ص: ٢٧٠.

^٣ انظر الزمخشري، الكشاف، ج: ٢، ص: ٢١٥.

فجاء هذا الاستدراك ومعناه العطف بعد نفي كون النبي أبا لأحد من الرجال، والخطاب لأمتة، وهذا إعلام من الله للناس أنه اختار نبيه للرسالة وليس لشيء آخر من متعلقات الدنيا، وعطف ببيان فضله على العالمين أي فضل محمد صلى الله عليه وسلم، فأى فضل أعظم من كون أحد الخلق خاتم وقرأت بكسر التاء، كقوله ختامه مسك) "وبمعناه (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ١/٥٧٧) ^١، للأنبياء الذين هم صفوة الصفوة، فجاء حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم صفوة صفوة الصفوة.

ثانيا: أن تأت لكن للعطف فتحمل معنى القلب.

وقال تعالى لَّا يَغْرُنْكَ تَلَّابُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ {آل عمران: (١٩٦) – (١٩٨)}.

جاءت "لكن" في خطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به هو الأمة وقيل أنه موجه لكل من سمع هذا الخطاب كأنه قيل لا يغرنك أيها السامع ^٢، وفي قوله لتقلب الذين كفروا في البلاد} وجهان: الأول: أنها نزلت في مشركي مكة وكانوا في رعد، فقال المؤمنون إن أعداء الله في هذا الخير ونحن هلكنا من الجوع والجهد (الواحدى ١٩٦٨، ١٠/٩٣) ^٣.

الثاني: في اليهود وما تصيب من أموال. والمراد بتقلب الذين كفروا تصرفهم في التجارة والمكاسب (الرازي، د.ت، ٩/١٥٣) ^٤.

فجاءت "لكن" في الآية عاطفة ومعناها قصر القلب ^٥ ورد اعتقاد الكفرة أنهم منتمعون من الحياة والمؤمنون في خسران عظيم ^٦. ف"لكن" أفادت حكما جديدا والمراد به أفتاح السامع بالتزام الإيمان فبه الخير الحقيقي في الدنيا والآخرة.

^١ انظر ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، (١٤٠٢ - ١٩٨٢) حجة القراءات تحقيق: سعيد الأفغانى (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ط١، ج: ١، ص: ٥٧٧.

^٢ الرازي، التفسير الكبير، ج: ٩، ص: ١٥٢.

^٣ انظر الواحدى أبو الحسن علي بن أحمد النيسابورى، (١٩٦٨م) أسباب النزول، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع)، د.ط، ج: ١٠، ص: ٩٣.

^٤ الرازي، التفسير الكبير، ج: ٩، ص: ١٥٣.

^٥ إذا أفادت "لكن" القصر تكون من حروف العطف. انظر فضل عباس، البلاغة فنونها وأفتاتها، ص: ٣٨١.

^٦ الألوسى، روح المعاني، ج: ٣، ص: ١٧٢.

قلت: بعد أن عرض المولى جل وعز لحال الكفرة في الأرض وما لهم من مظاهر العزة والتعم في المتعة، أخبر أن هذا قليل في كفه ومدته، وبعده المأوى فجاءت روعة هذه الكلمة لتقابل المتاع القليل، فأى مكث وأي مدة تكون في المأوى، وأي إيواء يكون في جهنم — نسأل الله السلامة — إنه الخلود في أم الجحيم، وبئس المهاد. فجاء الاستدراك ليقلب اعتقادهم بأنهم منعمون، ليخبرهم أنه متاع الغرور وبعده الجحيم الحقيقي.

وحتى لا يقول المؤمن كما قال قوم قارون عندما غرهم ظهوره وقد نال من خير الدنيا ما نال {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفَاهَىٰ إِلَيَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ *} [القصص: (٧٩) — (٨١)]. لما رأوا ما حل به فاضت نفوسهم بالتصديق لوعد الله ووعيده. فقال الله على لسانهم {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَفِّرُ اللَّهُ بِنَيْسُطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَأَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَفِّرُ لَنَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [القصص: ٨٢].

قلت: ومما يفيد الاستدراك بقوله تعالى {لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} [آل عمران: (١٩٨)]. العطف الذي جاء للقلب، ليقلب ما قد يتوهم من حال المؤمنين. فالمؤمن يكتبني بالخبر عن الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم، ولا ينتظر أن يرى بعينه هذه ميزة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك جاء الاستدراك ليبين مزية المتقين بكل ألوان النقي على غيرهم، أنهم مصدقون لا يغرهم ما يرونه من علو الكافرين، لذلك جاءت الإشارة لهم بالجنان نوات الأنهار مقابل تقاهم وصبرهم على الدنيا وعدم اغترارهم بظهور الكافرين القليل والمحدود، فنالوا بهذا الصبر على المنقطع، الخلود. وهذه أيضا مقابلة بين الحاليين المتضادين في الدارين، اللهم بلغنا تفاك وهداك ورضوانك ورضنا ورضا عنا.

الخاتمة:

- ١- الحروف حروف مباني وحروف معاني، وحروف المعاني هي التي بحث في معانيها النحاة والبلغاء.
- ٢- الحرف "لكن" من الحروف المركبة العاملة. وتأتي مشددة ومخففة، وأشهر معانيها الاستدراك.
- ٣- "لكن" من أخوات "إن" فتتصب المبتدأ وترفع الخبر.
- ٤- المعنى المشهور لـ"لكن" عند النحاة هو الاستدراك، وهي تقيد التأكيد، والعطف، وجاء القرآن بكل هذه المعاني، وغيرها.
- ٥- جمهور النحاة نفوا أن تكون "لكن" لغير الاستدراك، لكننا من خلال مجيئها في السياق القرآني نرجح ما ذهب إليه السهيلي وغيره من أنها تأتي مع الاستدراك للتوكيد، وتأتي مخففة للعطف، وقد تأتي لغير هذه المعاني.
- ٦- شروط "لكن" حتى تكون للاستدراك، أن تقع بعد نفي، أو شرط، أو لإثبات وتأكيد، وشرطها للتأكيد كذلك، لكن تكون بين متناقضين، أما شرطها لتكون عاطفة فهو أن تكون مخففة، مسبوقه بنفي أو شبهه، وأن تكون الواو قبلها زائدة لازمة.
- ٧- جاءت "لكن" في التعبير القرآني تحمل معان بلاغية أخرى، ففي طياتها تحمل التنبيه، والتحذير، والتهديد، والوعيد، وفي بعض السياقات جاءت للتخلص بما يعرف عند البلغاء بحسن التخلص.

فهرست المراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى : ٩٨٢هـ-)، الشاملة.د.ن.
- إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي، عبد الله بن السيد، تحقيق: حمزة عبد الله النشترتي، دار المريخ، الرياض، ط١ ١٣٩٩هـ.
- الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم، عبد الجواد الطيب، مكتبة الآداب، ط٢، ١٩٩٤م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين الأنباري، أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الناشر : دار الفكر - دمشق.د.ت.
- أسباب النزول، الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٨م.
- أصول النحو العربي، الحلواني، الإنترنت.د.ن.
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي القرن : الثامن تحقيق : صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت: ١٤٢٠ هـ
- البسيط في شرح جمل الزجاجي، ابن أبي الربيع، تحقيق عياد الثبيتي، ط١، دار الغرب الإسلامي. بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، فضل حسن عباس، ط٧ دار الفرقان ١١، ٢٠٠م. عمان.
- كتاب اللمع في العربية، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي تحقيق : فائز فارس الناشر : دار الكتب الثقافية - الكويت ، ١٩٧٢.
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي(١٣٩٣هـ) الطبعة : الأولى، الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
- تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن للطبري الطبري أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠)، المحقق : مكتب التحقيق بدار هجر ط١، دار هجر.د.ت.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الرازي الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، الطبعة : الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- التعريفات الجرجاني علي بن محمد بن علي الشريف. تحقيق : إبراهيم الأبياري الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ عدد الأجزاء : ١
- الجمل في النحو، الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل الأردن، ١٤٠٤هـ.

- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق طه محسن، المكتبة الوطنية، بغداد ١٩٧٥م.
- حجة القراءات، ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة تحقيق : سعيد الأفغاني دار النشر / مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢ - ١٩٨٢.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الألويسي شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألويسي ، تحقيق : على عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ) المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر : دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
- شرح الرضي على الكافية، الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي ، الشاملة.د.ن.
- شرح الكافية الشافية الطائي كمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ط١، دار المأمون للتراث، ١٩٨٦م.
- الصاحبى، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق، السيد أحمد صقر، مطبعة الحلبي، مصر، د.ت.
- العوامل المائة في أصول العربية. الجرجاني عبد القاهر. تحقيق: زهران البدرأوي، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
- الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب، الحامي نور الدين عبد الرحمن الجامي (٨٩٨ هـ)، دراسة وتحقيق : الدكتور أسامة طه الرفاعي.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتاب، بيروت.د.ت.
- كتاب العين الفراهيدي أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال.د.ت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) ق:السادس. دار الكتاب العربي - بيروت سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء : ٤
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي. عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (المتوفى : ٧٣٠هـ) المحقق : عبد الله محمود محمد عمر الطبعة الأولى دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
- الكليات " معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" العكبري، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - .

- لكن في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية، فتحية عبيدة، جامعة الجزائر، قسم الرسائل، كلية الآداب واللغات، الجزائر ٢٠٠١م.
- لسان العرب ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر : دار صادر - بيروت الطبعة الأولى عدد الأجزاء : ١٥، د.ن.
- المحرر الوجيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى : ٥٤٢هـ)، الشاملة.د.ن.
- مدارك التأويل وأسرار التنزيل (تفسير البيضاوي) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت.د.ت.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر تحقيق: على البجاوي، دار الفكر العربي.
- معاني الحروف، الرمانى، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشرق، جدة، ط ٢ ١٤٠١ م - ١٩٨١م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق : عبد السلام محمد هارون الناشر : دار الفكر، د.ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله الناشر : دار الفكر - بيروت الطبعة السادسة ، ١٩٨٥م.
- المفصل في علم العربية، الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر ، دار الجيل، بيروت، ط ٢.
- المقنتضب، المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس تحقيق: محمد عبد الخالق، عالم الكتاب، بيروت.
- نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تحقيق محمد ابراهيم البناء، دار الاعتصام.د.ت.
- النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، المكتبة المصرية، بيروت ط ١٩٦٤م.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط ١٩٧٥م.
- النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط ١٤٠٧هـ .
- همع الهوامع في شرح جمع الجومع، السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق عبد العال سالم، دار البحوث العلمية، الكويت.د.ت.